

التبيان في تفسير القرآن

(71) أي منجاة كما سموا اللديغ سليما ، والاعمى بصيرا . وظاهر الآية يدل على أن كل نفس تذوق الموت ، وإن كانت مقتولة - على قول الرمانى - ونحن وإن قلنا : إن الموت غير القتل ، فلا بد أن نقول : إن المقتول يختار أن يفعل فيه الموت إذا كان في فعله مصلحة . وقوله : (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) معناه وما لذات الدنيا ، وشهواتها ، وما فيها من زينتها إلا متعة متعكموها الغرور ، والخداع : المضمحل الذي لاحقيقة له عند الاختبار والامتحان ، لانكم تلتذون بما يمتعكم الغرور من دنياكم ، ثم هو عائد عليكم بالفجائع والمصائب ، فلا تركزوا إليه ، ولا تسكنوا ، فانما هي غرور وإنما أنتم منها في غرور . وقال عكرمة : متاع الغرور ، القوارير ، وهي في الاصل كل متاع لابقاء له ، وإنما وصفت الحياة الدنيا بأنها متاع الغرور مع كشفها عن حالها ، لانها بمنزلة من يغتر بالمحبيب ويبذل ما فيه الفرح والسرور ، ليقع في بلية تؤدي إلى هلكة ، مبالغة في التحذير منها - على منا بيناه - وفي الآية دلالة على أن أقل نعيم من الآخرة خير من نعيم الدنيا بأسره ولذلك قال (صلى الله عليه وآله) : (موضع سوط في الجنة خير من الدنيا ، وما فيها) واستدل بهذه الآية على أن القتل هو الموت على الحقيقة . ومنهم من قال في المقتول : موت ، وقتل وللمخالف أن يقول : يمكن أن تكون الآية مخصوصة بمن يموت ، ولا يقتل كما قال : (كل نفس بما كسبت رهينة) (1) وهي مختصة بالعقلاء البالغين ، ويمكن أن يكون المراد كل نفس تعدى الحياة ، فيكون ذلك على وجه الاستعارة . ذكره البلخي . وقوله : (ذائقة الموت) مجاز ، لان الموت لا يذاق في الحقيقة ، لان ذلك مشهور في كلامهم يقولون : ذاق الموت ، وشرب بكأس المنون ، لانه بمنزلة ما يذاق بذوق شدائده . والفرق بين الذوق وإدراك الطعم أن الذوق تقريبا جسم المذوق إلى حاسة الذوق ، والادراك للطعم هو وجدانه (2) وإن لم يكن هناك احساس ، ولذلك يوصف تعالى بأنه مدرك للطعم ولا يوصف

(1) سورة المدثر : آية 38 . (2) في المخطوطة : (هو وجدك به ..)